جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

ثنائية الخيال والواقع وانعكاسهما على الحدث السردي في رواية فراغ مكتظ لإبراهيم مضواح الألمعي

The Duality of Fiction and Reality and Their Reflection on the Narrative Event in the Novel ("Crowded Void" by Ibrahim Midwah Al-Almai)

إعداد

د. بتول حسين مباركي

أستاذ مساعد قسم اللغة العربية بكلية الفنون والعلوم الإنسانية

جامعة جازان

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الثاني-مايو)

(الجزء الرابع (١٤٤٦هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٥/٦٢٧١م

ثنائية الخيال والواقع وانعكاسهما على الحدث السردي في رواية فراغ مكتظ لإبراهيم مضواح الألمعي

د. بتول حسين مباركي

أستاذ مساعد قسم اللغة العربية بكلية الفنون والعلوم الإنسانية جامعة جازان

البريد الإلكتروني: *bmobarki@jazanu.edu.sa*

الملخص

هدف البحث إلى إبراز ثنائية الخيال والواقع وانعكاسهما على الحدث السردي في رواية فراغ مكتظ لإبراهيم مضواح الألمعي، وقد اعتمد البحث على مقاربة نصوص الرواية، وارتكز البحث على تطبيق أساليب التحليل السردي؛ مثل: تحليل المحتوى، وتحليل البنية السردية، وفضاء الرواية من شخصيات، وزمان، ومكان، من خلال تسليط الضوء على التقنيات المستعملة في التعبير؛ للكشف عن الواقع والخيال في الرواية، وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وجاء التمهيد للتعريف بالواقع والخيال، وكان المبحث الأول للواقعية السردية وانعكاسها على الحدث السردي في رواية فراغ مكتظ، وكان المبحث الثاني لتوظيف الخيال في الرواية ودوره في إثراء دلالات الحدث السردي، وجاء المبحث الثالث لدلالات التردد بين الواقع والخيال، وتواؤمه مع النسق السردي، ثمَّ جاءت الخاتمة: وفيها: نتائج البحث، ثمَّ قائمة المصادر والمراجع، ومن النتائج التي توصل إليها البحث: ظهر السرد في رواية فراغ مكتظ من عمق المشاكل الاجتماعية الفكرية، وبالتالي فالرواية تعبير صادق عن الواقع المجتمعي، ومن ثمَّ كانت غلبة الواقع في الرواية على الخيال، وجاءت الشخوص والفضاء الزماني والمكاني في الرواية صورًا صادقة عن الواقع، لذا كان اقترابها من الواقع على حساب الخيال.

الكلمات المفتاحية: السرد ـ الخيال ـ الواقع ـ رواية فراغ مكتظ.

The Duality of Fiction and Reality and Their Reflection on the Narrative Event in the Novel "Crowded Void" by Ibrahim Midwah Al-Almai

Batoul Hussein Mubaraki
Assistant Professor, Arabic Language Department, College of Arts and Humanities

Email: ***bmobarki@jazanu.edu.sa***

Abstract:

This research aims to highlight the duality of fiction and reality and their reflection on the narrative events in the novel "Crowded Void" by Ibrahim Midwah Al-Almai. The research relied on an approach to analyzing the novel's texts and focused on applying methods of narrative analysis such as content analysis, narrative structure analysis, and the novel's space including characters, time, and place, by highlighting the techniques used in expression to reveal reality and fiction in the novel. The research is presented in an introduction, preface, three sections, and a conclusion. The preface introduces the concepts of reality and fiction. The first section addresses narrative realism and its reflection on the narrative event in "Crowded Void". The second section examines the employment of imagination in the novel and its role in enriching the implications of the narrative event. The third section explores the significance of oscillation between reality and fiction and its compatibility with the narrative pattern. The conclusion presents the research findings, followed by a list of sources and references. Among the findings: The narrative in "Crowded Void" emerged from the depth of intellectual social problems, thus the novel is a truthful expression of societal reality. Hence, reality prevailed over imagination in the novel, and the characters and the temporal and spatial space in the novel presented truthful images of reality, thus its proximity to reality was at the expense of imagination.

Keywords: *Narrative , Fiction , Reality , Crowded Void Novel.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المصطفى الكريم محمد وعلى آلة وصحبه وسلم، أمَّا بعد:

إنَّ الخيال والواقع في السرد الروائي المعاصر لا يسيران على وتيرة واحدة، فمن الروايات ما يغلب في بنيتها السردية الخيال على الواقع، ومن الروايات ما يغلب في بنيتها السردية الواقع على الخيال، ومنها ما يتماهى الخيال فيها مع الواقع، ونظرًا لهذا التفاوت تشكل موضوع البحث الحالي، فجاء عنوانه الموسوم بـ: (ثنائية الخيال والواقع وانعكاسهما على الحدث السردي في رواية فراغ مكتظ لإبراهيم مضواح الألمعي). ويتمثل موضوعه في إبراز ثنائية الواقع والخيال في البنية السردية في رواية فراغ مكتظ؛ حيث ترتكز هذه الرواية على صراع الأيديولوجيات في المجتمع اللبناني خاصة والعربي عامة بواسطة الشخوص التي تعبر عن الأيديولوجيات المتناحرة، فاحتوت الرواية على مفارقات وفصول من الصراعات بين التيار الإسلامي والتيار الليبرالي من خلال قطبي التيارين نبهان وعلَّام وفي وسطهما الشخصية الثالثة أو الأولى هزَّاع، وبالتالي فإنَّ الرواية عبارة عن صراع أيديولوجي.

إشكالية البحث: تتمثل إشكالية هذا البحث في محاولته الإجابة عن السؤال الرئيس: ما ملامح الواقع والخيال في رواية فراغ مكتظ؟

وقد تفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما دور الشخصيات في إقامة بنية الواقع في رواية فراغ مكتظ؟
٢. هل أسهم الفضاء المكاني والزماني في إقامة البنية السردية بين الواقع والخيال؟
٣. ما الآليات التي استخدمها المؤلف لإكساب الحدث السردي واقعية؟
٤. كيف تنوعت لغة السرد بين الواقع والخيال في رواية فراغ مكتظ؟

أهداف البحث: هدف البحث إلى إبراز ملامح الواقع والخيال في رواية فراغ مكتظ بالكشف عن:

١. دور الشخصيات في إقامة بنية الواقع في رواية فراغ مكتظ.
٢. إسهام الفضاء المكاني والزماني في إقامة البنية السردية بين الواقع والخيال.
٣. الآليات التي استخدمها المؤلف لإكساب الحدث السردي واقعية.
٤. تنوع لغة السرد بين الواقع والخيال في رواية فراغ مكتظ.

أهمية الموضوع: جاء هذا البحث ليشكل إضافة لعالم النقد، ومحاولة لمقاربة رواية فراغ مكتظ لإبراهيم مضواح الألمعي، من خلال الوقوف على تمثلات الواقع والخيال في الرواية التي حققت مستوى سرديًّا دراميًّا فعَّالًا ومتميزًا، كما سعى إلى إقامة جسور الجدل والمساءلة بين الواقع والخيال.

منهج البحث: اعتمد البحث على مقاربة نصوص الرواية، وارتكز على تطبيق أساليب التحليل السردي؛ مثل: تحليل المحتوى، وتحليل البنية السردية، وفضاء الرواية من شخصيات، وزمان، ومكان، كما أنَّه سلَّط الضوء على التقنيات المستعملة في التعبير للكشف عن الواقع والخيال في رواية فراغ مكتظ، من خلال المنهج التحليلي الوصفي.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: التداخل السردي بين الواقعي والمتخيل في رواية (هنا القاهرة) لإبراهيم عبد المجيد، لأحمد محمد فؤاد مصطفى، مجلة بحوث كلية الآداب، ٢٠١٨م. وقد هدفت هذه الدراسة إلى تعرف ملامح الواقعي والمتخيل في النص السردي رواية (هنا القاهرة) لإبراهيم عبد المجيد، واستكشاف إلى أيِّ حدٍّ وُفِق المؤلف في تقديم وجهة نظره السردية، عبر الاعتماد على الواقعي والمتخيل في حكاياته السردية، وقد ناقشت هذه الدراسة العلاقة بين الواقعي والمتخيل في النص السردي، والوظائف البنائية لكون أنَّ البطل هو السارد بضمير المتكلم، وتناولت فنيات اختيار القاهرة فضاء روائيًّا في النص السردي، وفنيات الاعتماد على التزامن في معظم جوانب الحكي السردي، ومدى اعتماد المؤلف على التحفيز الواقعي، ورصد التفاصيل

الدقيقة وذكرها، وتناولت اللغة المجازية والحوار الفصيح في الرواية. وقد اتفق البحث الحالي مع هذه الدراسة في أنَّهما تناولا الواقع والخيال في النص السردي من حيث تناول الفضاء المكاني والفضاء الزماني والتحفيزات الواقعية وكثرة التفاصيل ولغة الحوار، وقد اختلفت هذه الدراسة عن البحث الحالي في أنَّها اختارت رواية (هنا القاهرة) لإبراهيم عبد المجيد للدراسة، في حين تناول البحث الحالي رواية (فراغ مكتظ) لإبراهيم مضواح الألمعي بالدراسة، كما كان الاختلاف في هيكلة الدراسة.

الدراسة الثانية: جماليات الخطاب بين الواقع والمتخيل في رواية الحفائر تتنفس لعبد الله التعزي، عبد الرحمن بن خليفة بن عبد الرحمن الملحم، ع٢٥، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م. وقد سعت هذه الرواية إلى الكشف عن جماليات الخطاب بين الواقع والمتخيل في رواية الحفائر تتنفس لعبد الله التعزي، وقد تناولت هذه الدراسة مفهوم الواقع والمتخيل في اللغة والاصطلاح، وتناولت المتخيل السردي في الرواية، ومدى قدرة الراوي على تحويل الواقع إلى متخيل سردي، كما تناولت الدراسة دور الأمكنة والأزمنة والشخصيات الواقعية والمتخيلة في بناء الرواية. وقد اتفق البحث الحالي مع هذه الدراسة في تناولهما الواقع والخيال في النص السردي من حيث تناول الفضاء المكاني والفضاء الزماني والشخصيات، وقد اختلفت هذه الدراسة عن البحث الحالي في أنَّها اختارت رواية (الحفائر تتنفس) لعبد الله التعزي للدراسة، في حين أنَّ البحث الحالي تناول رواية (فراغ مكتظ) لإبراهيم مضواح الألمعي للدراسة، كما كان الاختلاف في هيكلة الدراسة؛ إذ تناولت هذه الدراسة بعض الموضوعات التي لم يتعرض لها البحث الحالي، مثل الموضوعات الآتية: المتخيل السردي في الرواية، ومدى قدرة الراوي على تحويل الواقع إلى متخيل سردي.

الدراسة الثالثة: الواقع والمتخيل في رواية جزيرة الغراب لخالد الجبرين، لوضحى بنت صالح الجناح، مجلة كلية دار العلوم، ع١٤٥، مايو ٢٠٢٣م. وقد هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن تمثلات الواقع والمتخيل في رواية "جزيرة الغراب"،

وقد تناولت هذه الدراسة عدة موضوعات، هي: الرواية وتشكل خطاب البدء، والرواية والخطاب التاريخي، ومفهوم الواقع، والتعريف بالواقعية، وبناء المتخيل في الرواية، وفضاء الرواية، وشخصيات الرواية. وقد اتفق البحث الحالي مع هذه الدراسة في أنَّهما تناولا الواقع والخيال في النص السردي من حيث تناول الفضاء المكاني والفضاء الزماني والشخصيات، وقد اختلفت هذه الدراسة عن البحث الحالي في هيكلة الدراسة؛ إذ تناولت هذه الدراسة بعض الموضوعات التي لم يتعرض لها البحث الحالي، مثل الموضوعات الآتية: الرواية وتشكل خطاب البدء، والرواية والخطاب التاريخي.

حدود البحث: دراسة ثنائية الخيال والواقع وانعكاسهما على الحدث السردي في رواية فراغ مكتظ لإبراهيم مضواح الألمعي.

هيكلة البحث ويشمل: (المقدمة: وفيها: نبذة عن الموضوع، وإشكالية البحث، وأهدافه، وأهميته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وحدود البحث وهيكلته).

التمهيد: وفيه: التعريف بالواقع والخيال في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: الواقعية السردية وانعكاسها على الحدث السردي في رواية فراغ مكتظ، وفيه:

أولًا: آلية التحفيز الواقعي في رواية فراغ مكتظ.

ثانيًا: آلية كثرة التفاصيل في رواية فراغ مكتظ.

المبحث الثاني: توظيف الخيال في رواية فراغ مكتظ ودوره في إثراء دلالات الحدث السردي (اللغة بين الخيال والواقع في رواية فراغ مكتظ) وفيه:

أولًا: اللغة التعبيرية المتخيلة (المتخيل الكتابي)

ثانيًا: اللغة العامية في الديالوج

المبحث الثالث: دلالات التردد بين الواقع والخيال، وتواؤمه مع النسق السردي، وفيه:

أولًا: بنية الشخصيات بين الواقع والخيال وانعكاسها على الحدث السردي.

ثانيًا: بنية الفضاء الزماني والمكاني بين الواقع والخيال وانعكاسها على الحدث السردي.

الخاتمة: وفيها: نتائج البحث، ثمَّ قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

التعريف بالواقع والخيال في اللغة والاصطلاح

أولًا: التعريف بالواقع في اللغة والاصطلاح:

١- الواقع في اللغة: الواقع من الجذر اللغوي (و. ق. ع) ، ويدل هذا الجذر على "على سقوط شيء. يقال: وقع الشيء وقوعًا فهو واقع. والواقعة: القيامة، لأنَّها تقع بالخلق فتغشاهم. والوقعة: صدمة الحرب. والوقائع: مناقع الماء المتفرقة، كأنَّ الماء وقع فيها. ومواقع الغيث: مساقطه. والنسر الواقع، من وقع الطائر، يراد أنَّه واقع بالأرض. وموقعة الطائر: موضعه الذي يقع عليه"(١)، "ووقع الشيء وقوعًا: سقط، وأوقعه غيره...، ويقال: وَقَعَ رَبيعٌ بالأرض، ولا يقال: سقط. ووَقَعْتُ السكِّين. أحددْتُها. وحافرٌ موقوع، مثل وقيع."(٢)

٢- الواقع في الاصطلاح: هو الوجود الإنساني بأطره المكانية، والثقافية، والتاريخية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، ووفقًا لهذا التعريف يعد من الواقعي كل ما يحدث في مجتمعاتنا المعيشة، وكل ما نتعامل معه من شخصيات حولنا، وكل الأوضاع المحيطة بنا، فكل هذه الجوانب تعد جوانب واقعية مرتبطة بالواقع المعيش. ومبدع النص ومؤلفه يعيش واقعيًّا في مجتمع، يرتبط بأحداثه وشخوصه المختلفة ويتفاعل معها، وينخرط في علاقات عديدة ومتنوعة معها، وكل ذلك يمثل بلا شك مصدرًا كبيرًا، ينهل منه المبدع في استيحاء كثير من أحداث نصه السردي، وفي بناء

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د/ ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، مادة: (و. ق. ع)، (٦/ ١٣٤).

(٢)الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، مادة: (و. ق. ع)، (٣/ ١٣٠٢).

معظم شخصياته الروائية تقريبًا. ، وبالتالي فالواقع "معطى حقيقي وموضوعي"(١)، ومن ثمَّ فإنَّ الواقع "يحيل إلى ذاته". (٢)

ثانياً: التعريف بالخيال في اللغة والاصطلاح:

١ـ الخيال في اللغة: يقول ابن منظور: "الخيال لكل شيء تراه كالظل، وكذلك خيال الإنسان في المرآة، وخياله في المنام صورة تمثاله، وربما مرَّ بك الشيء شبه الظل فهو خيال، يقال: تخيل لي خياله".(٣)

٢ـ الخيال في الاصطلاح: الخيال في الاصطلاح هو "بمثابة مستودع للصور الخيالية التي يجسد المبدع من خلالها رؤاه وأفكاره ومشاعره الخاصة؛ ليضفي على نصه السردي طابعه الخاص، أسلوبًا ووصفًا وحكاية"(٤)، فالخيال هو بناء ذهني غير واقعي، أي إنَّه إنتاج فكري بحت، أي ليس إنتاجًا ماديًّا ، ومن ثمَّ فإنَّ المتخيل "يحيل إلى الواقع".(٥)

---

(١) حسين خمري، فضاء المتخيل دراسة أدبية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د/ ط، ٢٠٠١م، ص٣٩.

(٢)حسين خمري، فضاء المتخيل دراسة أدبية، ص٣٩.

(٣)ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، مادة: (خ. ي. ل)، (١١/ ٢٣٠).

(٤)أحمد محمد فؤاد مصطفى، التداخل السردي بين الواقعي والمتخيل في رواية (هنا القاهرة) لإبراهيم عبد المجيد، ص١٩٦.

(٥)حسين خمري، فضاء المتخيل دراسة أدبية، ص٣٩.

المبحث الأول

الواقعية السردية وانعكاسها على الحدث السردي في رواية فراغ مكتظ.

أولًا: آلية التحفيز الواقعي في رواية فراغ مكتظ:

التحفيز الواقعي متعلق "بضرورة توفر العمل الحكائي على درجة معقولة من الإيهام بأنَّ الحدث محتمل الوقوع"(١)، ولقد استخدم الكاتب إبراهيم مضواح الألمعي في روايته التحفيز الواقعي حتى يُكسب عالمه الروائي واقعية، بمعنى أنَّه يدخل الرواية وأحداثها وتفاصيلها وشخصياتها في الواقع المعيش بتقديمه في الرواية معلومات حقيقية ليست من تأليفه، بل هي مأخوذة من الواقع لإضفاء الواقعية على الرواية وأحداثها وتفاصيلها وشخصياتها، ونظرًا لأنَّ الواقع متعدد المعلومات فقد تعددت المعلومات الواقعية في الرواية، وذلك على النحو الآتي:

* **معلومات تاريخية**: من المعلومات التاريخية التي جاءت في الرواية ما جاء في قول علَّام: "فمن أوائل جنايات الإسلاميين تحريمهم دخول المطبعة إلى العالم الإسلامي، وهذه الفتوى أو القرار أخَّرَ دخول المطبعة إلى العالم الإسلامي مئتي سنة. كمَّا حرَّموا جهاز إرسال البرقيات، والدرَّاجة، والراديو، والتلفزيون، مرورًا بأجهزة الفيديو، وصحون الاستقبال الفضائية، وليس انتهاءً بكاميرات الهواتف."(٢) فمعلومة تحريم دخول المطبعة إلى العالم الإسلامي مئتي سنة في إسطنبول عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك. كما حرَّموا جهاز إرسال البرقيات، والدرَّاجة، والراديو، والتلفزيون، مرورًا بأجهزة الفيديو، وصحون الاستقبال الفضائية، وكاميرات الهواتف، معلومات تاريخية فقهية جاءت على لسان علَّام لتثبت أنَّ هذه الشخصية غير منفصلة عن

---

(١) حميد لحمداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م، ص٢٣.

(٢)إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ دار أدب للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١،٢٠٢٣م، ص٦٦.

الواقع بل هي شخصية على اطِّلاع بالتاريخ وبالفقه، ومن ثمَّ تكون شخصية حقيقية، وتكون ما تقدمه من معلومات لا تنفصل عن الواقع؛ إذ هي معلومات حدثت بالفعل في الواقع، إضافة إلى ذلك فإنَّ تقديم معلومات حقيقية في الرواية تقرب بين السارد والقارئ بما يحقق انسجامًا وتناغمًا واضحين بين أركان المنظومة السردية... فمن ناحية يستطيع المؤلف التعبير عن رؤاه واطِّلاعاته المختلفة، دون أن تتحول الشخصية الروائية إلى بوق يرددها دون وعي منه، ومن ناحية ثانية يستطيع القارئ معرفة معلومات مختلفة تضيف الكثير إلى رصيده المعرفي والثقافي، ومن ناحية ثالثة يقنعنا البطل/الشخصية الرئيسة... أن يكون على دراية بكل هذا الزخم المعرفي الذي يبثه في سياق سرده.

* **معلومات فقهية**: من المعلومات الفقهية التي جاءت في الرواية ما جاء مكتوبًا في لوحة كبيرة على جدار المسجد الذي يخطب فيه نبهان والتي قرأها هزَّاع: "قال ابن تيمية في(مجموع الفتاوى مجلد/ ١٩ صفحة ٦٤) :"وجُوِّز أن يُكتب للمصاب وغيره من المرضى شيءٌ من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويُغسَل ويُسقى"(١) فهذه المعلومة الفقهية وردت في مجموع الفتاوى لابن تيمية بالنص الآتي: "ويجوز أن يَكتبَ للمصاب وغيره من المرضى شيئًا من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى كما نص على ذلك أحمد وغيره..."(٢)، وهي تقرب الحدث السردي في الرواية من الواقع، وتجعل الأشخاص أصحاب سمات واقعية، وذلك نتيجة النصوص الفقهية التي وردت في الرواية، والتي قللت من الخيال وزادت من واقعية الراوية بأحداثها وأشخاصها.

---

(١) السابق، ص١٠١.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، د/ ط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، (١٩/ ٦٤).

***نصوص دينية**: جاء في الرواية بعض الآيات القرآنية، مثل قول الله تعالى:

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ [البقرة: ١٠٢] فالنصوص الدينية تضفي على الحدث السردي واقعية، محضة ومن هنا وظفها المؤلف في أقوال الأشخاص، ممَّا زاد من واقعية الأشخاص في الرواية، فصارت شخصيات واقعية حيَّة وليست شخصيات خيالية، وبذلك تتقاطع شخصيات الرواية وأحداثها مع شخوص الواقع وأحداثه، ومن هنا يقترب السرد الروائي من الواقع ويبتعد عن الخيال، فكأنَّ المؤلف صوَّرهُ عن طريق الكلمات بتقديم قطع واقعية بشكل أمين.

***معلومات طبية**: من المعلومات الطبية التي وردت في الرواية ما أوضحه الراوي في سرده عن هزَّاع: "لن تكفي حبة (زاناكس) واحدة؟ ابتلع حبتين، فهذا الهلع لا يُحتمل، وماذا يمكن أن يحدث؟! كل ما سيحدث بسبب زيادة الجرعة ليس أسوأ مما هو فيه".(١) فزاناكس هذا واحد من الأدوية المضادة للقلق واضرابات الخوف والرهاب ونوبات الهلع، وبالتالي فهذه المعلومة الطبية تجعل الحدث السردي واقعيًّا، وتجعل الشخصية هزَّاع حيَّة تعاني من المرض النفسي الذي ألجأها إلى هذا الدواء، وبناء على ذلك أصبح ما يدور من أحداث حول شخصية هزَّاع، وما تحدث له، ونظرًا لذلك اقترب السرد الروائي في رواية فراغ مكتظ من الواقع وابتعد عن الخيال، ومن المعلومات الطبية أيضًا دواء السبرليكس، قال الراوي عن حالة هزَّاع بعد رجوعه من عند الطبيب النفسي: "تختلط عليه صور رُقية نبهان، وعياد الطبيب النفسي، وزيت الزيتون وأقراص (الميرزاجن)، ومحو الزعفران، وأقراص (السبرليكس (؛يشعر بهدوء

(١)إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص١٠٨.

منذ ابتلع أول حبة؛ أهو مفعولها أم هو الوهم؟ لا يهم فالعبرة بالنتيجة، والنوم يتسلل إلى عينيه، يطبق جفنيه".([1])

كما يظهر التحفيز الواقعي أيضًا من خلال ذكر التواريخ بالتحديد في الرواية، فقد قسَّم أحداث الرواية على أيام قام بتحديدها بذكر اليوم وتاريخه والسنة، وذلك على النحو الآتي:

الأحد ٢ يوليو ٢٠٠٦ . . . . اليوم الأول في الرواية، ويعادل الفصل الأول.

الاثنين ٣ يوليو ٢٠٠٦. . . . . اليوم الثاني في الرواية، ويعادل الفصل الثاني.

الثلاثاء ٤ يوليو ٢٠٠٦ . . . . اليوم الثالث في الرواية، ويعادل الفصل الثالث.

الأربعاء ٥ يوليو ٢٠٠٦ . . . . اليوم الرابع في الرواية، ويعادل الفصل الرابع.

الخميس ٦ يوليو ٢٠٠٦ . . . . . اليوم الخامس في الرواية، ويعادل الفصل الخامس.

الجمعة ٧ يوليو ٢٠٠٦ . . . . . اليوم السادس في الرواية، ويعادل الفصل السادس.

السبت ٨ يوليو ٢٠٠٦. . . . . اليوم السابع في الرواية، ويعادل الفصل السابع.

الأحد ٩ يوليو ٢٠٠٦ . . . . اليوم الثامن في الرواية، ويعادل الفصل الثامن.

---

(١) السابق، ص١٢٧.

الاثنين ١٠ يوليو ٢٠٠٦ . . . . . .اليوم التاسع في الرواية، ويعادل الفصل التاسع. (١)

ومن هنا يتبين كثافة تردد التحفيزات الواقعية في رواية فراغ مكتظ، وذلك رغبة من المؤلف في إيهام القارئ بواقعية الأحداث المحكية، حتى يمنع القارئ من التفكير في أنَّ ما يدور في هذه الرواية عبارة عن محض خيال، أو أنَّه على أقل تقدير عبارة عن مزج بين الواقع والخيال، وقد نجح المؤلف في هذا؛ لأنَّه من خلال المعلومات المتنوعة ما بين المعلومات التاريخية، والمعلومات الفقهية، والنصوص الدينية، والمعلومات الطبية.

* **معلومات موسيقية**: من المعلومات الموسيقية التي وردت في الرواية ما جاء عن موسيقى) الراعي الوحيد (، وذلك في حديث الراوي عن منزل علَّام وإعجاب محسن خلف به، فجاء النص الآتي: "منظر الكتب يخلُبُ لُبَّ مُحسن، وصوت: موسيقى)الراعي الوحيد(للروماني (جورج زامفير) تصنعُ خلفيةً ساحرة للأرفف المكتظَّة بالكتب، لم يجرِّب مُحسن هذا المزيج الساحر من قبل.".(٢) فهذه المعلومة الموسيقية تُكسب أحداث الرواية واقعيةً تشعر القارئ و المتلقي أنَّ ما يقرأه ما هو إلا عالم حقيقي، وتشعره بأنَّه أمام نص سردي واقعي، وليس رواية تروى.

* **معلومات ثقافية**: من المعلومات الثقافية التي وردت في الرواية ما جاء في قول علَّام لمحسن خلف وهو في مكتبته: "هذا كتاب: (عن الحرية، لجون ستيوارت ميل) أحد أهم الفلاسفة الذين اهتموا بالتنظير لحرية الفرد؛ جرِّب أن تقرأه، فهو كتابٌ مؤسِّسٌ في فلسفة الحرية الفردية.".(٣) فتلك المعلومة تُعطي العمل الأدبي واقعية،

---

(١) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص٧.

(٢)السابق، ص١٢٩.

(٣) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص١٣١.

وتكون الرواية بما تتضمنه من شخوص وأحداث وفضاء زماني ومكاني تعبيرًا صادقًا عن الواقع الفعلي.

* **معلومات غنائية**: جاء في قول رافع ردًّا على علَّام "تذكرت قول فيروز: (سمى الجيرة، وسمى الحي، ولولا شوية سماني) لم يبق إلَّا أن يلعنك من على المنبر".(١) فهذه المعلومة الغنائية واقعية؛ لأنَّ كلمات أغنية فيروز (سمى الجيرة، وسمى الحي، ولولا شوية سماني) كائنة بالفعل، ويستطيع القارئ أن يجدها ويسمعها، وتلك الواقعية تنقل الحدث الروائي إلى الواقعية أيضًا، فما يحيط بهذه المعلومة من أحداث في الرواية هي أحداث واقعية وليست خيالية، وقد اكتسبت واقعيتها من هذه المعلومة الحقيقية.

* **معلومات سينمائية**: لقد وردت في رواية فراغ مكتظ معلومة سينمائية في قول الراوي عن علَّام: "شعر برعشة عميقة وهو يستعيد مشهد الكاتب الصحفي) فؤاد مسعود) والرصاصات تمُزق جسده، في فيلم (الإرهابي)".(٢) فمعلومة تلقي فؤاد مسعود الرصاصات في فيلم الإرهابي توضح أنَّ علَّام يُفكر بما هو متاح في الواقع الذي يعيشه القارئ من معلومات، وبذلك فهو مثل القارئ شخصية حقيقية تُحدث أحداثًا واقعية في فضاء واقعي.

* **معلومات عن حوادث واقعية**: ورد في رواية فراغ مكتظ معلومات حقيقية حدثت بالفعل، فقد قال علَّام: "ولماذا الأفلام؟ في الواقع ما هو أفظع؛ كتلك السكين التي غُرِزتْ في عنق نجيب محفوظ، من شابٍ لا يعرف نجيب محفوظ، ولا ماذا كتب! أو كتلك الرصاصات التي اخترقت جسد فرج فودة، ممن ليس بينه وبين فرج فودة سابق

---

(١) السابق، ص١٦٢.

(٢) نفسه، ص١٦٦.

معرفة".([1]) فحادثة محاولة اغتيال الروائي نجيب محفوظ هي حادثة وقعت بالفعل، وتلك الحادثة التي جاءت في صورة معلومة مختزنة في عقل علَّام تنعكس على أحداث الرواية وتُكسبها واقعية. وذلك بوجود الحدث الحقيقي والذي تمثَّل في واقعة الاغتيال و غيرها من معلومات وحقائق؛ ومن هنا تشكلت رواية فراغ مكتظ على مستويين من التأليف الإبداعي والفني، والحدث السردي، فالمستوى الأول يتجسد في ذكر هذه الأحداث الحقيقية، والمستوى الثاني يتجسد في أنَّه دائمًا ما توالت أحداث الرواية بما فيها من حقائق متنوعة في المجتمع العربي، لتعود ببعض البؤر للأحداث الحقيقية التي حدثت بالفعل.

ثانياً: آلية كثرة التفاصيل في رواية فراغ مكتظ:

من الآليات التي اعتمد عليها المؤلف إبراهيم مضواح الألمعي في رواية فراغ مكتظ في تقريب العمل الروائي من الواقع آلية كثرة التفاصيل، "وتتمثل هذه الوسيلة في كثرة التفاصيل المذكورة في سياق السرد الحكائي أو الوصفي"([2])، وقد جاءت هذه الآلية في مواضع عديدة من الرواية، مثل:

– وصف المكان والمتمثل في وصف شقة البلد التي يلتقي فيها علَّام وهزَّع وبقية أصدقائهم في النص الآتي: "في شقة البلد يتعثر الداخل بكومة من الأحذية قبل أن يصل إلى صالة الجلوس، فإذا دخل الصالة فعليه أن يتحسَّس مواضع قدميه لكيلا يتعثر بالأكواب والصحون والقوارير والأراجيل، وحين يأخذ مجلسه، يصبح جزءًا من هذه الفوضى التي طالما برَقَ الإلهام من بين دخانها فوُلِدَ موضوعُ مقالة، أو مطلعُ

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) أحمد محمد فؤاد مصطفى، التداخل السردي بين الواقعي والمتخيل في رواية (هنا القاهرة) لإبراهيم عبد المجيد، ص٢١٢.

قصيدة، أو فكرةُ قصة".(١) فهذا الوصف الدقيق للشقة يجعل القارئ أمام شقة حقيقية واقعية يعرف الراوي كل جزء فيها، ومن ثمَّ قام بتصويرها للقارئ في كلمات، ومن هنا استطاع المؤلف توظيف آلية كثرة التفاصيل في إضفاء سمت الواقع على المكان وصرفه عن سمت الخيال، وهكذا يتسم الخطاب النصي في سردية الرواية بالواقعية، "فما الخطاب إلا احتيال بصورة طريفة عن الفكرة، التي يريد الكاتب أن يؤديها".(٢)

- وصف الحدث والمتمثل في وصف حدث وصول هزَّاع لمكتب نبهان في النص الآتي: "وصل هزَّاع إلى مُجَمَّعِ الهدى التجاري؛ استقبله شابٌ مهذّب، في مكتبٍ أنيق تملؤه رائحة البخور، إلى درجة أشعرته بالاختناق، يبدو هذا الشاب مبتسم حتى وهو يتكلم، حتى وهو صامت؛ لم ينتظر أن يُعرِّفَه بنفسه، رحَّب به كمن يعرفه منذ زمن".(٣)، فهذا الوصف الدقيق لحدث وصول هزَّاع لمكتب نبهان واستقباله يجعل القارئ أمام حدث حقيقي واقعي يعرف الراوي كل لمحة فيه، ومن ثمَّ قام بتصويره للقارئ في كلمات دقيقة، ومن هنا عملت آلية كثرة التفاصيل على تحقيق واقعية الحدث. وهذا ما يعرف بالاسترجاع أو الاستذكار، وهو حركة سردية توقف تقدم السرد، وتشدُّ الزمن إلى الوراء لاستعادة الماضي، وعادةً ما تتم هذه الاستعادة عبر انسيال الذاكرة بالاعتماد على الارتداد، هذه الذاكرة ذات فاعلية تمارس ضغوطها على لحظة الزمن الآتي لفسح المجال أمام الماضي بالعودة ثانية، وممارسة نشاطه بكل حيوية. (٤)

---

(١) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص١١.

(٢) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط١٣، د/ ت، ص١٩٨.

(٣)إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص٦٩.

(٤)لاريسّا إبراهيم أحمد، معالم البناء السردي في روايات سحر خليفة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سوريا، ٢٠١٠-٢٠١١، ص١٩٢. بتصرف

-وصف مشهد، والمتمثل في وصف مشهد من عيني علَّام عندما نظر من نافذة بيته؛ حيث يقول: الآتي: "هواء ظهيرة رطب، الناس يتزاحمون على الأرصفة المجاورة للجامع، يبتاعون الفاكهة والخضروات المعروضة أمام باب المسجد، ثم ينطلقون في اتجاهات شتى، يتأملهم علَّام".(١) ، فهذا الوصف التفصيلي الدقيق للمشهد من خلال عيني علَّام عندما نظر من نافذة بيته يجعل القارئ أمام مشهد حقيقي واقعي يعرف الراوي كل منظر فيه، ومن ثمَّ قام بتصويره للقارئ ، ومن هنا استطاع المؤلف توظيف آلية كثرة التفاصيل في إضفاء سمت الواقع على المشهد وصرفه عن سمت الخيال المحكي. وهذا يجعل مهمة الكاتب دقيقة صعبة؛ إذ عليه أن ينقب عن الأسس الحقيقية للموضوع، وأن ينظر إليها نظرة إنسانية، حتى لا تندثر قيمة مقالته بتقدم العقل الإنساني وتجدد مكتشفاته النظرية. (٢)

-وصف الشخصيات، ويمكن التمثيل لهذا بوصف شخصية هزَّاع على المستوى الشكلي والجسدي، وذلك في النص الآتي: "لم يطمئن فليس في شخصية هزَّاع ما يدعو للطمأنينة: لا طريقته في الكلام؛ حيث يقذف الكلمات من فمه وكأنَّها محبوسة خلف شفتيه تنتظر فرصةً للإفلات، ولا عيناه الغائرتان، ولا أنفه المكوَّر الصغير، ولا قوامه المتهدم النحيل، ولا الهالات الدكناء تحت عينيه، ولا نظارته ذات العدسات العريضة التي تُظهر عينيه في صورةٍ مُقززة".(٣)، فذلك الوصف الدقيق لشخصية هزَّاع على المستوى الشكلي والجسدي يجعل القارئ أمام شخصية حقيقية حية يعرف الراوي شكلها جيدًا، ومن ثمَّ قام بتصويرها للقارئ في عبارات تسهم في

---

(١)إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص٩٢.

(٢)محمد يوسف نجم، فن المقالة، الناشر: دار صادر، بيروت – دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٦م، ص١٠٥. بتصرف

(٣)إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص١٤٦.

بث روح الحياة فيها، "هذا هو المسار الذي تتميز به الحكاية، ويشكل قانونها العام والمشترك، وهو الأبسط والأكثر وضوحًا، وبالتالي الأكثر طواعية على الكشف، وفي هذا المسار تترابط الحلقات السردية محكومة بمنطق يخصها، ويبدو توالي الأفعال، على النحو الذي هو لها، توالياً له طابع الضرورة".[1] ومن ثمَّ استطاع كاتب الرواية توظيف هذه الآلية في منحها سمت الواقع الفعلي، والوجود الإنساني على الشخصية، وصرفها عن عالم الخيال، وينتج عن ذلك واقعية الأحداث التي تفعلها الشخصية، وكذلك الأحداث التي تدور حولها، و بهذا نجد أن بروز الأوصاف ممزوجة بالصورة الحركية للسرد الروائي ، فتتداخل مع بعضها في نمو الأحداث فيصعب على القارئ أو المتلقي عزل الصورة عن الحركة ؛ وذلك بما جمعته الرواية بين السرد و الوصف.

(١) يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط٢، د/ ت، ص٤٨.

المبحث الثاني

توظيف الخيال ودوره في إثراء دلالات الحدث السردي

(اللغة بين الخيال والواقع في رواية فراغ مكتظ)

وفيه:

أولًا: اللغة التعبيرية المتخيلة (المتخيل الكتابي):

يعدُّ هذا المحور مخالفًا للمحاور السابقة في الغرض والهدف الذي يصبو إليه الكاتب، فإذا كان الغرض من المحاور السابقة جعل العمل الروائي أو النص السردي واقعيًّا أو أقرب إلى الواقعية منه إلى الخيال، حتى يُوهم المؤلف قارئه أنَّ ما يقرؤه في النص السردي أو العمل الأدبي يحتمل الوقوع فعلًا في الواقع الطبيعي، وهذا واضح من خلال الشخصية والفضاءات الأخرى كالزماني والمكاني والتحفيزات الواقعية وكثرة التفاصيل، فإنَّ هذا المحور يجعل العمل الروائي خياليًّا محضًا، أو أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع الطبيعي، فاللغة التعبيرية المتخيلة هي وسيلة تعبيرية توحي بخيال النص السردي أو أي عمل فني؛ أي تقول بأنَّ هذا النص السردي غير محتمل الوقوع في الواقع الطبيعي؛ إذ إنَّه ما دام المعني بالمتخيل في هذا السياق ما لا يمكن تصور احتمال وقوعه في الواقع الخارجي، أي في العالم الفعلي، بعيدًا عن أجواء النص السردي، يمكن القول إذًا إنَّ المتخيل بهذا المفهوم لم يظهر إلَّا من خلال اللغة التعبيرية، والمقصود باللغة التعبيرية هنا، هو اللغة المستخدمة في التعبير الحكائي أو الوصفي أو الحواري، واللغة بذلك متخيلة؛ أي من صنع خيال المؤلف، من حيث صياغتها واستخدامها؛ ومن ثمَّ قد لا يمكن تصور احتمالية حدوثها في الواقع الخارجي؛ على الرغم من أنَّها تعبر عن أحداث ومواقف محتملة الحدوث في الواقع اليومي، وهو ما سُمي بالمتخيل الكتابي، وكل هذا يقصد به أنَّ الرواية الخيالية تتخذ من الواقعية الإنسانية موضوعًا لأحداثها؛ ومن ثمَّ تجعل اللغة الوسيلة التي تعطي العالم الخارجي لمحة خيالية، فتبدو للقارئ خيالًا فنيًا محضًا فيما هو مجرد واقع

طبيعي رسمه الكاتب في مخيلته وعقله وعرضه في نصه الأدبي.(١) وقد عملت اللغة المتخيلة على تخييل النص السردي في رواية فراغ مكتظ من خلال تقنيتين، هما:

***التقنية الأولى: الاستخدام المجازي للغة**: لقد استخدم المؤلف اللغة في رواية فراغ مكتظ استخدامًا مجازيًّا في غير موضع من مواضع الرواية، على نحو ما يأتي:-

١- استخدام التشبيه في الحدث السردي: لقد تمَّ توظيف التشبيه في الحدث السردي في أكثر من موضع في رواية فراغ مكتظ، مثل ما ورد في النصوص الآتية: "حتى أصبح يتخيَّل نفسه يمشي في طرقات الحزناء كنملة بائسة تتوقع أن يدعسها أحدُ المارة في أي لحظة". (٢) هنا يشبه الراوي حالة هزَّاع الداخلية التي قادته إلى تشبيه نفسه بنملة بائسة تمشي في طرقات الحزناء تتوقع أن يدعسها أحدُ المارة في أي لحظة. وأيضًا يشبه هزَّاع أمَّه على لسان الراوي بأنَّها تبدو كمذنبة على الدوام وأبوه يقرِّعها، كما يشبه تبديد أبيه حالات فرح أمِّه العابرة مثل تبديد الشاطئ فرحة الأمواج بالوصول، فقد جاء في النص الروائي على لسان الراوي: "يأسف لأنَّه لا يستطيع نسيانَ أُمِّه وهي تبدو كمذنبة على الدوام، وأبوه يقرِّعها، ويبدد حالات فرحها العابرة، كما يُبدِّدُ الشاطئ فرحة الأمواج بالوصول".(٣) كما جاء التشبيه في مونولوج بداخل هزَّاع، وذلك عندما أخذ يحدث نفسه بصوت مسموع قائلًا عن نبهان وعلَّام في المناظرة: "سأجعلهما كديكين يتصارعان، حتى يُدمي كلٌ منهما الآخر."(٤)، وقال أيضًا: "أعدكَ أيُّها المدير الحقير أن أعملَ ما في وسعي لتكون المناظرة قنبلةً تذهب

---

(١) أحمد محمد فؤاد مصطفى، التداخل السردي بين الواقعي والمتخيل في رواية (هنا القاهرة) لإبراهيم عبد المجيد، ص٢١٦. بتصرف

(٢)إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص٦٢.

(٣) السابق، الصفحة نفسها.

(٤) نفسه، ص٩٨.

بك وبقناتك"([1]) هنا يُشبه هزَّاع علَّام ونبهان في المناظرة بديكين يتصارعان حتى يُدمي كلٌ منهما الآخر، كما شبه المناظرة بالقنبلة التي تذهب بالمدير كما تذهب بالقناة، ومثل هذا التألق الإبداعي هو الذي يجلب التميز الفني، فالراوي وهو ينتج النص لا ينسى أنَّ نصه يدور في فلك خطاب سردي آخر؛ مما يؤثِّر بقصد أو بدون قصد في صميم بنيته الحكائية الروائية ويُحملها دلالات فنية إبداعية إضافية لأنَّه في الحالين يعكس المقصدية الجدلية القائمة بين استقطابات الخطابين – الذين تقوم العلاقة بينهما على المجابهة وليس التفاوض – من ناحية، ومفردات البناء الفني الإبداعي من ناحية أخرى. كما جاء التشبيه في مونولوج بداخل هزَّاع، وذلك عندما أخذ يُحدث نفسه، وهو يسترجع موقف إعلانه عن حبه لحليمة وردها عليه فقال:

"اقتربتُ منها لأتلقى كلمة الحب الأولى؛ هززتُ رأسي أستحثها على الكلام؛ قالت: إنِّي أكره النمل، ثمَّ أكملت ضحكتها التي انغرزت كسهمٍ في صدري."([2]) في هذا الموطن يشبه هزَّاع ضحكت حليمة عليه عندما أعلن لها حبه بالسهم الذي انغرز في صدره. ولا شك أنَّ "الراوي يلجأ عادة إلى مثل هذا التعبير بدل أن يكرر عدة مرات ما جرى فعله عدة مرات، وهو ما قدمنا مثاله في الحالة الثانية، ولا يجوز للراوي أن يقع في مثل هذا التكرار الحالة الثانية، لذا يلجأ إلى تعديل لغوي، أو إلى صياغة أسلوبية تخوله الإفادة بعبارة واحدة، أو بمرة واحدة عن هذا الذي يتكرر وقوعه". ([3])

٢- استخدام الاستعارة في الحدث السردي: وظَّف كاتب الرواية الاستعارة في الحدث السردي في مواضع متعددة في رواية فراغ مكتظ، مثل: جاءت الاستعارة في مونولوج يتحدث فيه هزَّاع إلى نفسه عن موقف حليمة من حبه الطفولي، فيقول: "فلم

---

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص١٠٩.

(٣)يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ص١٣١.

أنس أنِّي مددتُ لها خدي ذات يوم لأتلقى قبلتها، فصفعتني سخريتُها، وتلقى قلبي الغض طعنتها القاتلة".(١) فالاستعارة هنا في قوله: فصفعتني سخريتُها، وفي قوله: وتلقى قلبي الغض طعنتها القاتلة، وهذا يبرر امتلاك الأديب أو الكاتب قدرة فنية مميزة أن يقدم الأفراد الروائية، وسماتها وملامحها الفكرية، وعلاقاتها، وتناقضاتها.(٢) كما جاءت الاستعارة في قول الراوي عن حال علَّام من المحاضر الذي كان يعطي درسًا في المسجد المجاور لمنزله، والذي تسبب في إيقاظه من النوم: "كأنَّما يُطِلُّونَ بأعناقهم من نوافذ المسجد ليروه وهو يجر أذيال هزيمةٍ قاسية، ويُخرجون ألسنتهم لزيادة غيظه".(٣) فالاستعارة هنا في قوله: أذيال هزيمةٍ قاسية.

كما وردت الاستعارة فيما قاله الراوي عن حال هزَّاع بعدما رجع من مسجد نبهان: "الوَهْنُ يستعمر أوصاله، والفزع يُفرِغُ صدره، لم تبلغ به الوحشة هذا الحد من قبل؛ أهذا ما كان يرجوه من رُقْيَة نبهان؟! يحتاج أن ينام، وأنَّى له النوم، والكآبة تملأ أعماقه، كما تملأ زوايا شقته؟".(٤) فالاستعارة هنا في قوله: الوَهْنُ يستعمر أوصاله، وكذلك في قوله: والكآبة تملأ أعماقه. فيعدُّ هذا الاستخدام المجازي للغة غير مستخدم لدى السارد في الواقع، وهو ما جعله من المتخيل الكتابي الفني ، وبالتالي فإنَّ المتخيل الكتابي هو اللغة الجمالية الإبداعية في الحدث السردي الخيالي.

***التقنية الثانية**: **استخدام اللغة الفصحى في الحوار**: هناك نوعان من اللغة المستعملة في الحوار في الأعمال الأدبية، فمن الأدباء من يستعمل اللغة الفصحى

---

(١)إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص٨١.

(٢)خليل رزق، تحولات الحبكة مقدمة لدراسة الـ (الرواية) العربية، مؤسسة الإشراف للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص١٣. بتصرف

(٣) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص١٠٥.

(٤) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص١٠٨.

في الحوار، ومنهم من يستعمل اللغة العامية في الحوار سواء حوار مشهدي أو حوار غير مشهدي، ولا ينبغي بحال من الأحوال أن نتساءل عن الأصلح أو نفاضل بين الفصحى والعامية في الحوار الأدبي، تعلـلًا بأنَّ العامية قد تكون أقدر على تصوير بعض الحالات النفسية السيكولوجية كونها لغة الحياة اليومية الحياتية، أو على التعبير عن الدلالات الاجتماعية، أو ما يسمونه واقعية الأداء، فهذه الحجج وما إليها يُقصد بها الانتصاف من العامية إلى الفصحى. وفي ضوء أنَّ الواقع هو ما يمكن أن يتحقق في الواقع والخيال وهو ما لا يمكن أن يتحقق في الخيال الكتابي، يكون استخدام اللغة الفصحى في الحوار هو ضرب من الخيال في الحدث السردي، وبناء على ذلك كان تحقق الحوار باللغة الفصحى في رواية فراغ مكتظ هو آلية من آليات الخيال في الرواية، التي تُخفف من وطأة الحدث السردي الواقعي في الرواية. وقد انقسم الحوار في الرواية إلى قسمين، هما: الحوار مع الذات أو المونولوج، والحوار مع الغير أو الديالوج.

١- اللغة الفصحى في المونولوج: يقول علَّام مخاطبًا نفسه: "تخبرينني يا مريم بما أعرفه تمامًا؛ فما أحببتُ في يومٍ من الأيام سوى نفسي؛ ربَّما لو عاشت أمي حتى أعرفها لأحببتها، ولكنها رحلت، وتركتني للأيدي تتناوبني، والصدور تُرضعني، فأكثر نساء العائلة أمهاتي من الرضاعة؛ وليس فيهنَّ من أحفظ لها معنى الأمومة؛ وهذا من حسن حظي، فالحب عبودية، والتعلُّق رِقٌ. لم أعثر عليه في طريقي، ولو أردته لما كان بوسعي أن أخلقه؛ أعيش حرًا كما أريد، متمركزًا حول ذاتي، أعيش على هامش أسرتي".(١) يظهر من هذا الحوار أنَّ علَّام أدار الخطاب مع نفسه باللغة الفصحى، وهذا ما لا يتحقق في الواقع، وبالتالي فهذا الحوار ينعكس على لغة الحدث السردي ويجعلها تندرج تحت وطأة المتخيل الكتابي، حيث تتخذ الرواية لنفسها ألف

(١) السابق، ص٩١.

وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ والمتلقي، تحت ألف شكل مما يُعسِّر تعريفها تعريفًا جامعًا مانعًا، ذلك لأنَّنا نلفي الرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما تختلف عنها بخصائصها الحميمة، وأشكالها الفنية الصميمة، أمَّا بالقياس إلى اشتراكها مع الحكاية الأسطورة: فلأنَّ الرواية تغترف بشيء من الطمع من هذين الجنسين الأدبيين العريقين وذلك على أساس أنَّ الرواية الجديدة، أو الرواية المعاصرة بوجه عام؛ لا تلفي أي غضاضة في أن تُغني نصها السردي الأدبي بالمأثورات الشعبية الحكائية، والمظاهر الأسطورية والملحمية جميعًا، وفي مونولوج يديره هزَّاع مع نفسه ويصور مخاوفه، قال فيه: "ترى ما سبب هذا الكرم المفاجئ؟! يجب أن أبدو طبيعيًا حتى لا يشك بشيء. لو أخبرتْهُ مريم بالصورة هل كان سيعزمني على الغداء؟! لا أظن. ولكنَّه لن يعزمني إلا لحاجة، أرجو ألَّا يكون ينوي الاعتذار عن المناظرة؛ ربَّما يكون لديه بعض الاشتراطات، أو الإملاءات! مهما يكن فلا بدّ من مناورته حتى تتم هذه الحلقة الملعونة". (١)

٢-اللغة الفصحى في الديالوج: لقد جعل كاتب رواية فراغ مكتظ الحوار بين اثنين (الديالوج) في الرواية باللغة الفصحى، وهذا ما جعل لغة الحوار مع الآخر في الرواية ممثلة للمتخيل الكتابي؛ لأنَّ الحوار بين اثنين (الديالوج) في الواقع يكون باللغة العامية، والتي يكتسبها الإنسان ولا يتعلمها، وحين يعرض المؤلف الحوار بلغة متعلمة غير مكتسبة يكون بذلك لجأ إلى المتخيل الكتابي، ومن أمثلة ذلك المتخيل الكتابي أو الحوار بالفصحى مع الآخر ما يأتي: "هذه الشرفة، والمعسَّل، وإبريق الشاي، والبحر محفزات رائعة لكتابة رسالة رومانسية" فرد هزَّاع: "سأتركك للرومانسية . . وأشكرك على هذه الدعوة الرائعة؛ على فكرة.. لا بدَّ أن تكون في القناة قبل مغرب

(١) السابق، ص٩٤.

الاثنين. . لا تنسَ . . رتِّب مواعيدك."([1]) يظهر من هذا الحوار أنَّ علَّام تحاور مع هزَّاع باللغة العربية الفصحى، في حين أنَّهما أصدقاء يتحدثان معًا في مطعم معين، وهذا ما لا يتحقق في الواقع الخارجي، ومن هنا فإنَّ هذا الحوار ينعكس على لغة الحدث السردي ويجعلها تقع تحت المتخيل الكتابي. نحن هنا أمام حلقات مترابطة متراصة، أو أمام غرز من خيط منسوج غرزة داخل غرزة يكفي فك غرزة واحدة حتى ينسل الخيط وتنفك بقية الغرزات أو يكفي كسر حلقة حتى تنكسر بقية الحلقات، مع هذا النمط من الترابط و التراص، يبقى بإمكان الراوي متابعة السرد إلى ما لا نهاية، وذلك بإضافة عقد جديدة مماثلة إلى جانب العقد السابقة، لكن على الراوي في مثل هذه الحال، أن ينتبه إلى ضرورة ربط العقد بعضها بالبعض بحيث تكون قابلة للانفكاك بمجرد فك آخر عقدة منها، وهذا معناه أنَّ نمط السرد هذا يهتم بنسج العقد في علاقة ترابط مباشر، وتميز بحيث يحمل تعلقها ببعضها البعض إمكانية فكها الآلي.([2])في حوار تليفوني بين هادية وعلَّام، جاء فيه: "مبروك شفت صورتك في التلفزيون، وإعلان مقابلتك. . وعملت حسابك في سهرة الليلة..

أعتذر لا أستطيع. . ولكن في المرة القادمة.

كنت متوقعة أنك ستعتذر، فما عُدْنا قَدّ المقام يا حضرة الدكتور.

أشرح لك ظروفي عندما أقابلك. . إلى اللقاء."([3])يظهر من هذا الحوار أنَّ هادية وعلَّام قد أدارا حوارهما معًا باللغة الفصحى، في حين أنَّهما أصدقاء يتحدثان معًا في محادثة هاتفية، وهذا ما لا يتحقق في الواقع، وبالتالي فهذا الحوار ينعكس على لغة الحدث السردي ويجعلها تندرج تحت الخيال الكتابي للنص السردي. وفي

---

(١) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص٩٦ – ٩٧.

(٢)يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ص٧٥. بتصرف

(٣) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص١٠٣ – ١٠٤.

حوار بين علَّام ومحسن الخلف الطالب في قسم التاريخ، قال له علَّام: "لدَّي قليلٌ من الوقت قبل بداية المحاضرة، يمكننا أن ندردش حول أسئلتك، فأنت شابٌ متفتِّح وسيكون الحوار معك مفيدًا."(١) ، يتبين من الحوار السابق أنَّ علَّام قد تحدث مع محسن الخلف باللغة العربية الفصحى، في حين أنَّهما يتجاذبان الحديث في حوار عاديٍّ وهذا لا يكون في الواقع المعيش، وعلى ذلك ينعكس هذا الحوار على لغة الحدث السردي ويجعلها خيالية.

ثالثاً. اللغة العامية في الديالوج: على الرغم من أنَّ المؤلف أدار الحوار في غالبية رواية فراغ مكتظ بالفصحى فإنَّ هذا لم يجعله يحافظ على ذلك النسق في الرواية كلها؛ إذ إنَّه جاء الحوار في غير موضع من الرواية باللغة الحياتية العامية، وبالتالي جعل الحوار يبدو واقعيًا؛ لأنَّه من المحتمل أن يتحقق في الواقع الطبيعي وطالما أنَّه من المحتمل أن يتحقق في الواقع الخارجي فإنَّه ينعكس على الحدث السردي في الروية ويجعله واقعيًا بحتًا ، وقد جاء الحوار بالعامية في الديالوج، وذلكما نجده: "هاه شو بتشكي أستاذ هزَّاع؟ ثمَّ غير السؤال فجأة: شو يعني اسم هزَّاع؟"(٢)، وقال أيضًا: "ومن شو بتشكي؟"(٣) ، وقال: "الطبُّ النفسي تجاوز(الشيز لونغ) و(الريكوردر)، هَيْ كانت مدرسة طبية متأثرة بفرويد؛ بتعرف فرويد؟"(٤)، وقال: "الآن بتقدر تحكي وأنت جالس أمامي كصديق، بل أنت صديق فعلًا، احكي وأنت مطمئن كأنك بتحكي مع حالك، وثق أنَّك ما رح تطلع من العيادة إلَّا وكل مشاكلك محلولة، لأنو هلا إحنا بالقرن الواحد والعشرين، وكل يوم بتظهر أبحاث جديدة،

---

(١) السابق، ص١١٤.

(٢)إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص١٢٢.

(٣)السابق الصفحة نفسها.

(٤) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ ص١٢٣.

وأساليب جديدة، وأدوية جديدة، ونظريات جديدة، منها اللي بيلغي السابق، ومنها اللي بيعدِّل فيه، ومنها اللي بيضيف عليه".([1]) وكذلك قال الطبيب النفسي لهزَّاع: "ماذا قالت هَيْ البنت ال شو اسمها؟

حليمة. نعم شو قالت حليمة؟"([2])، وقال أيضًا: "يمكن قالت هيك لحتى تمنعك عن إخبار الناس بعلاقتها مع الراعي، ولا يصح أن تشغل بالك بكلام وحدة مثل هَيْ."([3])، لقد أمكن لكتَّاب الرواية أن يتفننوا في استخدام مفهوم الراوي وارتبط هذه التفنن بعلاقتهم بما يروون، فجاءت كيفية ما يروون أو شكل ما يروون دلالة واضحة على رؤيتهم لما يروونه، إنَّ حركة السرد وتشكله في علاقات داخلية تنتظم بها الشخوص في سياق نسقي منسجم هي في الوقت نفسه حركة نهوض الرؤية لعالم القص ذاته، وكثيرًا ما لجأ الكتَّاب الروائيون المبدعون إلى تنويع الراوي في العمل الروائي الواحد، وفق ما يقتضيه سياق السرد. وفي موطنٍ آخر يوضح الراوي طريقة مناداة الممرضة الفلبينية لهزَّاع في عيادة الطبيب النفسي، فيقول: "هَزاء .. هَزاء . . نادت الممرضة الفلبينية"([4]) ويتضح من هذا أنَّ الراوي رصد طريقة مناداة الممرضة الفلبينية لهزَّاع في عيادة الطبيب النفسي كما هي كائنة في الواقع، وبالتالي فهذه المناداة تنعكس على لغة الحدث السردي وتدرجها تحت الواقع الكتابي، وتنحو بالسرد صوب الواقعية.

---

(١) نفسه الصفحة نفسها.

(٢) نفسه، ص١٢٤.

(٣) نفسه الصفحة نفسها.

(٤) نفسه، ص١٢٢.

المبحث الثالث

دلالات التردد بين الواقع والخيال وتواؤمه مع النسق السردي

أولًا: بنية الشخصيات بين الواقع والخيال وانعكاسها على الحدث السردي:

لقد كان وصف الشخصيات في رواية (فراغ مكتظ) وصفًا واقعيًّا من خلال بيان أبعادها وإظهار هيئاتها المختلفة: الجسدية والنفسية والاجتماعية والفكرية، على نحو: توضيح حالة الفصام التي يعيشها علَّام – أحد الشخصيات الرئيسة في الرواية – وذلك كان من خلال رسالة مريم زوجته التي أرسلتها إلى هزَّاع – أحد الشخصيات الرئيسة في الرواية –؛ كي ينشرها على أنَّها قصة في جريدته، ففي الرسالة جاء النص الآتي: "لفتتْ نظره مرارًا إلى حالة الفصام التي يعيشها رجل شرقي متزمت حين يتعلقَّ الأمر بزوجته وبنته، ومفكر حر حين يتعلق الأمر بمقالاته ومحاضراته، وأصدقائه وصديقاته. وكان يحتج بضرورة مسايرة المجتمع والعائلة"(١) وبالتالي أوضحت مريم الحالة النفسية لعلَّام أحد أبطال الرواية، فقد بينت أنَّه شخصية شرقية تعيش حالة فصام بين المتزمت والمتحرر، فعلَّام رمز الفكر المتحرر الذي يدعو إلى الحرية يعيش حياة المتشدد في بيته ومع زوجته، إنَّه يدعو إلى الحرية ويحرمها على زوجته، وبذلك كانت حالة الانفصام التي يعيشها علَّام تُعطي الشخصية واقعية وتجعلها شخصية حقيقية إنسانية قد تراها في المجتمع ماثلة ظاهرة، وكان الوصف هنا عن طريق امرأة علَّام؛ ليعطي الكاتب الوصف أكبر درجات المصداقية، إذ إنَّها تُقدم نمطًا بشريًّا غير غريب عن المجتمعات البشرية، فالشخصية الفصامية كائنة وموجودة. والرواية، من حيث هي جنس أدبي راق، ذات بنية شديدة التعقيد متراكبة التشكيل تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكل في نهاية المطاف شكلًا أدبيًا جميلًا يعتزي

(١) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ،، ص١٤٣.

إلى هذا الجنس الحظي، والأدب السري، فاللغة هي مادته الأولى، كمادة كل جنس أدبي آخر في حقيقة الأمر، والخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة فتنمو وتربو، وتمرع وتخصب، والتقنيات لا تعدو كونها أدوات لعجن هذه اللغة المشبعة بالخيال ثمَّ تشكيلها على نحو معين، ولكن اللغة والخيال لا يكفيان، وهما عامان في كل الكتابات الأدبية من أجل ذلك نلفي الرواية، من حيث هي ذات طبيعة سردية قبل كل شيء تنشد عنصرًا آخرًا هو عنصر السرد؛ أي الهيئة التي تتشكل بها الحكاية المركزية المتفرعة عنها حكايات أخريات في العمل الروائي، ولهذا السرد أشكال كثيرة تقليدية كالحكاية عن الماضي، وهي الشكل السردي الرائعة ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والمقامات بوجه عام.(١) وهناك الوصف الجسدي والشكلي الذي قدَّمه الراوي تاركًا للقارئ استنباط الملامح النفسية السيكولوجية والاجتماعية والأيديولوجية من السرد، على نحو وصف الراوي لهزَّاع في قوله: "فليس في شخصية هزَّاع ما يدعو للطمأنينة: لا طريقته في الكلام؛ حيث يقذف الكلمات من فمه وكأنَّها محبوسة خلف شفتيه تنتظر فرصةً للإفلات، ولا عيناه الغائرتان، ولا أنفه المكوَّر الصغير، ولا قوامه المتهدِّم النحيل، ولا الهالات الدكناء تحت عينيه، ولا نظارته ذات العدسات العريضة التي تُظهر عينيه في صورةٍ مُقززة."(٢)، وبالتالي فإنَّ الوصف لهزَّاع يقدم صورة حقيقة لنمط من الناس في المجتمعات، ومن ثمَّ يريد الراوي النفاذ من هذا النمط الشكلي إلى النمط الداخلي، وهذا ما يتركه للقارئ أن يستنبطه من السرد الروائي، وبناء على ذلك يكون الوصف الجسدي والشكلي يعطي الشخصية صفتها الحقيقية، ويحول الشخصية من دائرة خيال الكاتب إلى دائرة الواقع المأخوذة منه، فالكاتب أخذ هذه الشخصية من الواقع وصاغها في قالب سردي فني، وقام ببيان أوصافها حتى

(١) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص٢٧. بتصرف

(٢) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص١٤٦.

يُقربها إلى الواقع الإنساني مرة أخرى، أو بتعبير آخر حتى يرجعها إلى الواقع مرة أخرى، وبذلك فقد نجح الكاتب بما قدَّمه لبعض الشخصيات من أوصاف جسدية وشكلية في إضفاء سمت الواقعية عليها، ومن ثمَّ القيام بنقلها من عالم الخيال إلى عالم الواقع. ومن هنا يكون استثمار الوصف الشكلي لأبطال القصة الروائية وغيرهم من العناصر الثانوية رغبة في إضفاء سمت الواقعية على الشخصيات، فالكاتب استمدها من الواقع الخارجي إلى مخيلته ثمَّ سردها على الورق، وأراد أن يرجعها إلى الواقع مرة أخرى عن طريق ما يُقدمه لها من أوصاف شكلية وجسدية وأيديولوجية واجتماعية.

ثانياً: بنية الفضاء الزماني بين الواقع والخيال وانعكاسها على الحدث السردي:

*الفضاء الزماني في رواية فراغ مكتظ: تتناول رواية فراغ مكتظ الفترة الزمنية من ٢ يوليو ٢٠٠٦م إلى ١٠ يوليو ٢٠٠٦م إضافة إلى الاسترجاعات التي تعمل على مد الفترة الزمنية، أمَّا بالنسبة للفترة الآنية التي تعبر عنها الرواية وهي الفترة من ٢ يوليو ٢٠٠٦م إلى ١٠ يوليو ٢٠٠٦م، وبالتالي كان التزامن السردي في هذه الرواية عبارة عن تقديم صورة للمجتمع اللبناني في العقد الأول من الألفية الثانية، بكل ما تحمله هذه الفترة من انقسام المجتمع اللبناني بين التيار الإسلامي والتيارات الأخرى، كما تحمل هذه الفترة إسقاطات واضحة عن الفترة الحالية التي يعيشها المجتمع العربي، الذي يعاني من الانقسام المجتمعي وعدم القدرة على التوفيق بين المختلف في صورة تجمع الشتات وتفيد منه، كما أنَّ هناك اتفاقًا ما بين الزمن في الرواية وزمن تأليف الرواية؛ إذ إنَّ زمن تأليف هذه الرواية غالبًا في العقد الأول أو الثاني في الألفية الثانية، وتدور أحداثها في العقد الأول في الألفية الثانية، وبالتالي تكون الأحداث المحكية في الرواية متزامنة مع وقت تأليفها، وبالتالي متزامنة مع الوقت الحاضر، وبذلك تصير الرواية صورة واقعية لا خيال فيها إلَّا قليلًا. وقد حرص النص

السردي على الآنية من خلال الحوار الذي يحقق التزامن بين وقت الحكي ووقت الحدث، وقد انقسم الحوار إلى نوعين، هما:

١. الحوار مع النفس (المونولوج): على نحو ما نجده في الحديث الصامت الذي دار في نفس هزَّاع: "تُرى كيف كانت تشعر حين يتناهى إلى سمعها وصفها بالنملة، وحين تسمع الناس ينادونني ابن النملة، لا شكَّ أنَّها كانت تتألم ولا تستطيع حتى الشكوى؛ عليَّ اللعنة فأنا السَّبَبُ في كلِّ متاعبها". (١) والمونولوج الذي دار في نفس نبهان: "ترُى هل ما زال علَّام يتذكَّر أنَّه خطف مني مقعد الابتعاث، باستمالته المختبرين بفذلكاته وليِّ لسانه باللغة الإنجليزية، وبمظهره المتأنق؛ لقد كنتُ أحق منه بالبعثة. كانت ستأخذني إلى عوالم أرحب، كان الابتعاث سيتيح لي الحصول على شهادة عالية، ولغة أجنبيَّة، وعلاقات تؤهلني لأرقى المناصب، لا كما هي طموحات علَّام؛ التدريس في جامعة، والكتابة في صحيفة. لا بُدَّ أنَّه قد نسي، فطعم الانتصار سرعان ما يتلاشى، أمَّا مرارة الهزيمة فتدوم وتتجدد.".(٢)

٢. الحوار مع الآخر (الديالوج): على نحو: الديالوج بين الشيخ أبي المقداد وبين الشباب في مجلس نبهان الملحق بالمسجد، قال الشيخ أبو المقداد للشباب: "هاه بشروا؛ ماذا فعلتم يا شباب في مهمتكم؟"(٣)، فرد عليه عزَّام: "هنا كل ما يحتاجه الشيخ نبهان في مناظرته؛ اشتركنا في جمعه نحن الثلاثة"(٤)، ثمَّ قال الشيخ أبو المقداد للشباب: "أحسنتم جزاكم الله خيرًا أيها النجباء، أنتم فتية الإسلام، الذين يُشدُّ بكم الظهر، ولن يحرمكم الله الأجر؛ أمَّا صاحبكم فما أضرَّ إلَّا نفسه، واللهُ غنيٌ

(١) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص٦٣.
(٢) السابق، ص٧٤.
(٣) نفسه، ص٨٦.
(٤) نفسه الصفحة نفسها.

عن التزام المتذبذبين، والضعفاء."(١) والديالوج بين علَّام وهزَّاع، قال علَّام لهزَّاع: "هكذا يجب أن تُعاش هذه الحياة الحقيرة." فرد هزَّاع: "ليتني أستطيع"، ثمَّ قال علَّام: "سأدُلُّكَ على عيادة طبيب لبناني صديق لعائلة زوجتي، وسيختصر عليك الوقت والجهد والأدوية"(٢) فمن خلال هذه الحوارات عمل المؤلف على التعبير عن الآنية التي تقرب الخطاب السردي من الواقع وتبعده عن الخيال، وقد عمل المؤلف أيضًا على استثمار التوازي بين الزمن في الرواية وزمن تأليفها، والآنية المكتسبة من الحوار في إضفاء الواقعية على الرواية، رغبة في جعل الرواية تعبيرًا عن الواقع، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ المؤلف في الوقت نفسه لم يعتمد على الحوار اعتمادًا تامًّا؛ إذ لجأ إلى السرد؛ حتى لا يُصاب القارئ بالملل. وبناء على ذلك يتبين أنَّ النص السردي كان مناسبًا من خلال اختيار فترة زمنية تحمل تماثلًا مع واقع الوقت الحاضر، وأيضًا من خلال اختيار العلاقة المناسبة بين زمني الأحداث داخل الرواية وزمن تأليف الرواية، وحتى يقوم المؤلف بمدِّ الفترة الزمنية التي اتسمت بالقصر، فعمل على توظيف الاسترجاع والاستباق الزمني الذي يمدُّ الفترة الزمنية مع المحافظة على الواقعية وعدم الخروج منها إلى الخيال – حتى وإن خرج في مواضع أخرى إلى الخيال سوف يتم بيانها فيما يلي: ومن الاسترجاعات الزمنية التي وردت في رواية فراغ مكتظ استرجاع هزَّاع أحد أبطال الرواية أحداث فترة ما بعد وفاة أبيه حيث يقول:: "باع خالي البيت من أحد مجاوريه بثمنٍ بخس، وسلمني نصف المبلغ، مع الوكالة وأوراق البيع، وتقاسم هو وزوجته نصف الثمن، مع أنني قد اقترحت عليه تقسيمه بيننا بالتساوي. حين أصبح نصف ثمن بيت أبي في يدي شعرتُ بانتصار آخر، فها أنا أقبض ثمن البيت الذي استكثرَ عليَّ وعلى أمي أن نشاركه فيه، وها هو

(١) السابق، ص٨٦.

(٢) نفسه، ص٩٦.

يؤول إلى جيرانه الذين طالما آذاهم؛ يا لسخرية الأقدار!!". (١) وكذلك من الاسترجاعات التي وردت في رواية فراغ مكتظ استرجاع حال زوجة نبهان الثانية، والذي ورد في النص الآتي: "فلم تنسَ أنَّ زوجها السابق تخلى عنها بكل بساطة بعد ست سنوات من العشرة، فقط لأنَّها لا تُنجب؟ ما أدخلها في نوبة كآبة دفعتها إلى التردد على رقية نبهان، وحظيت منه برعاية خاصة انتهت بزواجهما، وتحولها من مريضة إلى راقية. فلتتمسك بدورها هذا فهي تحتاجه، ولتصرف الحديث إلى غير ذلك."(٢)، وأيضًا استرجاع علَّام للعلاقة التي كانت تجمعه مع الشيخ نبهان في جلسة ما قبل بدء البرنامج، يقول: "فقد عشنا سنوات الدراسة الجامعية متجاورين في السكن الجامعي، وقد كنت أرافقه في سيارته إلى الجامعة؛ كان يشترط لكي يأخذني في سيارته، أن يُنزلني قبل أن نصل إلى الجامعة، لكيلا يراه زملاؤه يحمل حليق لحية في سيارته، لأمرٍ يتعلَّق بالولاء والبراء؛ ثمَّ أعقبها بضحكة ذات معنى."(٣) وبهذا فقد عمل كاتب الرواية على تطويل المدة الزمنية مع الحفاظ على واقعية الرواية من خلال توظيفه للاسترجاع الزمني في مواضع عديدة من الرواية، أمَّا عن توظيف المؤلف الاستباق حتى يمد زمن الرواية، فقد كان من خلال عرض ما دار في ذهن هزَّاع: "اليوم موعد المناظرة، التي ستكون حديث الصحافة والمجتمع لأيام قادمة وربَّما لأسابيع؛ ويرجو هزَّاع أن تكون لسنوات".(٤) فهنا المؤلف عمل على استباق أحداث المستقبل، إذ إنَّ المناظرة لم يأتِ وقتها ولا ما تمَّ فيها، ولكنَّه يستشرف ما يحدث في

(١) إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص٨٢.
(٢) السابق، ص١٥٤.
(٣) نفسه، ص١٧٢ – ١٧٣.
(٤) نفسه، ص١٧١.

المستقبل من خلال ما يدور في خلد هزَّاع، وبذلك فقد مدَّ المؤلف الزمن عن طريق الاستباق مع المحافظة على واقعية الرواية.

*الفضاء المكاني في رواية فراغ مكتظ: إنَّ الرواية عبارة عن ذكر قول أو فعل حدثا، أو أمكن حدوثهما وخواصها أربعة الإيضاح والإيجاز والإمكان والتلطف "فالإيضاح" يكون بتقديم فرش للحديث وتوطئة للخبر يقرب مأخذ الرواية وبمراعاة الترتيب الطبيعي في إيراد ظروف الخبر ما لم يكن للراوي غرض لتجاوز هذا النظام وبالعدول عن كثرة الاستطرادات في إنشاء الحديث لأنَّ ذلك يصرف العقل عن سياق الرواية ويذهب برونقها.(١) ومن الأمكنة ذات الفاعلية في رواية فراغ مكتظ قرية هزَّاع – مسقط رأسه – التي قال عنها: "ليتهم يعيدون للحَزْناء اسمها القديم؛ ففي أساطيرهم أنَّ اسمها (الحَسْناء)، ولكنَّ الأجداد استبدلوا به اسم (الحَزْناء) حين انهار سقف المسجد على المصلين، وقامَ في كل بيتٍ مأتم."(٢) وهنا يوضح هزَّاع سبب تسمية قريته، وسبب ترك الاسم القديم الذي يدعو إلى الفرح والتفاؤل إلى الاسم الحالي الذي يدعو إلى الحزن والتشاؤم، وهذا إسقاط على دور المكان في بناء الإنسان نفسه وتأثيره عليه، حتى اسم المكان له تأثير على أفراده الذي يعيشون فيه، فالمكان هنا مفتوح ولكن تأثيره على شخصية هزَّاع تأثير سلبي، فالمكان فاعل، ويظهر ذلك أيضًا من قول هزَّاع للطبيب النفسي: "حتى القرية التي ولدتُ فيها وعشتُ فيها طفولتي، تحمل في اسمها معنىً يؤذيني؛ اسمها الحَزْناء)، ولك أن تتخيل يا

(١)أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، د/ ط، د/ ت، (١/ ٤٠١). بتصرف

(٢)إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص٨٠.

دكتور أنَّ هذا نوعٌ من النمل، قالها ضاحكًا بأسى."(١)، وفاعلية هذا المكان تظهر أيضًا من محاولة هزَّاع التخلص من هذه الفاعلية ببيع منزل أبيه في قريته – مسقط رأسه – رغبة في التحرر منها، يقول: "وها أنا أقطع آخر أثرٍ يربطني بقرية الحَزْناء؛ لأستقر في المدينة حيث تتبعثر الذكريات في الشوارع والأرصفة، والمقاهي وتفقد قيمتها ومعناها، وأعيش على الحياد تجاه كل شيء."(٢) وللمكان في العمل الروائي حضوره، وللإنسان في المكان حضوره والزمان في المكان حضوره، وللغة دورها في تجسيد هذا الحضور، وربطه بغيره من عناصر الخطاب الروائي ربطًا يجعل منه نسيجًا متشابكًا، محكم التلاحم والتماسك شديد الاتساق والترابط. وهذا النسيج، المتواشج، هو الرواية التي تروي لنا حوادثها بأسلوب خاص يتباين من كاتب لآخر.(٣) فهذه الفاعلية التي كانت للمكان على الشخص تجعلها تقترب من مفهوم أنَّه يحتم فاعلية المكان والزمان في الأشخاص، كما يحتم أيضًا فاعلية الأشخاص في الأماكن وتأثيرها عليها، وقد ظهرت أيضًا فاعلية الأشخاص في المكان، تلك الفاعلية التي أدت إلى تطور المكان نتيجة تطور أشخاصه؛ إذ إنَّ للشخوص أثرًا في الأمكنة، ويتضح ذلك من حالة التطور التي أصابت بيوت القرية مسقط رأس هزَّاع مع عدم تطور بيت أبيه، فقد قال هزَّاع عن بيت أبيه مقارنة ببيوت قريته: "هذا البيت الحقير؛ الذي لم يتغير عن حاله خلال السنوات الماضية؛ مع أنَّ أكثر بيوت القرية قد تغيرت، وصُبغتْ بالألوان، وبُنيت حولها الأسوار، وزيدت عليها الأدوار، وبُنيت إلى جوارها بيوتٌ جديدة في المزارع، أمَّا بيت أبي فما يزال على حاله

(١) السابق، ص١٢٥.

(٢) نفسه، ص٨٢.

(٣) إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للنشر، الجزائر، ط١، ٢٠١٠م، ص١٣١. بتصرف

البائسة."(١) وهنا إسقاط على تطور أهل قريته وتغيرهم مقارنة ببقاء أبيه على حاله دون تطور أو تغير، وهذا عين الواقعية، فالناس متفاوتون في التطور والتغير، فمنهم من يقبله ويؤثر فيه وبالتالي يؤثر في المكان، ومنهم من يرفضه ولا يؤثر فيه، وبالتالي لا يؤثر في المكان، ومن هنا وظَّف مؤلف الرواية المكان لجعل أحداث الرواية واقعية، فمن خلال الفضاء المكاني يشعر القارئ أنَّه أمام واقع حياتي يكون مُعاشًا، وليس أمام نصٍّ سرديٍّ من خيال كاتب الرواية.

(١)إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، ص٨٢.

الخاتمة

أسفر هذا البحث عن عدة نتائج، منها:

١.ظهر السرد في رواية فراغ مكتظ من عمق المشاكل الاجتماعية الفكرية، وبالتالي فالرواية تعبير صادق عن الواقع المجتمعي مما أضاف إليها الشمولية والرؤية الواقعية.

٣.جاءت الشخوص والفضاء الزماني والمكاني في رواية فراغ مكتظ صورًا صادقة عن الواقع، لذا كان اقترابها من الواقع على حساب الخيال.

٣.وظَّف المؤلف في رواية فراغ مكتظ بعض الآليات التي تنعكس على الحدث السردي وتقربه من الواقع، وتلك الآليات هي: التحفيز الواقعي، وكثرة التفاصيل.

٤.على الرغم من غلبة الواقع على الخيال في رواية فراغ مكتظ فإنَّ المؤلف عمل على المزج بين الواقع والخيال من خلال تقنيات خيالية وواقعية.

٥.وظَّف المؤلف في رواية فراغ مكتظ المتخيل الكتابي بنسقي: اللغة المجازية، واستعمال الفصحى في الحوار النفسي وفي الحوار مع الآخر، مما انعكس على الحدث السردي وجعله خياليًّا.

٦.وظَّف المؤلف الكتابة الواقعية باستخدام اللغة العامية في الحوار مع الآخر، مما انعكس على الحدث السردي وجعله واقعيًّا.

وأخيرًا يوصي البحث بمدارسة الرواية، وتتبع مضمونها؛ حيث يبقى البحث مفتوحًا في هذا الموضوع أمام الباحثين، والباحثات؛ وذلك لأهميته وإثرائه، وإتمام ما لم يتم النظر فيه والتطرق إليه.

المراجع

- إبراهيم مضواح الألمعي، رواية فراغ مكتظ، دار أدب للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م.
- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، د/ ط، د/ ت.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط١٣، د/ ت.
- أحمد محمد فؤاد مصطفى، التداخل السردي بين الواقعي والمتخيل في رواية (هنا القاهرة) لإبراهيم عبد المجيد، مجلة بحوث كلية الآداب، ٢٠١٨م.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، د/ ط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- حسن النعيمي، خطاب السرد، الرواية النسائية السعودية، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط١، ١٤٢٧م.
- حسين خمري، فضاء المتخيل دراسة أدبية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د/ ط، ٢٠٠١م.
- حميد لحمداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م.

- خليل رزق، تحولات الحبكة مقدمة لدراسة الـ (الرواية) العربية، مؤسسة الإشراف للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ط١، ١٩٩٨م.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د/ ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- لاريسّا إبراهيم أحمد، معالم البناء السردي في روايـات سحر خليفـة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سوريا، ٢٠١٠-٢٠١١م.
- محمد غنيمي هلال، في النقد المسرحي، دار نهضة مصر، القاهرة، د/ ط، د/ ت.
- محمد يوسف نجم، فن المقالة، الناشر: دار صادر، بيروت – دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط٢، د/ ت.